

المعبر عنها متشابهتان الى حد بعيد ، مما يحتم على اللغة المستعملة في كليهما ان تكون متشابهة كذلك . ذلك ان تجربة الموت — البعث هي تجربة اساسية واجماعية لدى الادياء الفلسطينيين في اسرائيل . ففي مسرحية توفيق فياض « بيت الجنون » نرى البطل سامي يكتشف انتصاره عندما يعلن انه سيصل الى ذروة قوته في ذلك اليوم الذي لا يبقى عنده اي شيء على الاطلاق . كما ان اقصوصة اميل حبيبي الاخيرة تنتهي باللقاء الذي يتم بين اختين من نفس الشعب في زنزانة الاعتقال : انهما تشعمران وكانهما في منزلها اخيرا .

ما الذي ستكون عليه تلك الحياة المأمولة ؟ ان الاسطورة لا تقول ذلك ابدا . فالرسالة السياسية تكمن بشكل خاص ، في الانفلات من الخرافة ، تلك الخرافة التي تغذي الصهيونية دون شك ، ولكنها تغذي كذلك وبالدرجة الاولى ، انين القدماء . ستكون هنالك عودة ، لكنها لن تكون لماض نبيكيه . انهم لا يتكلمون عن طرد المحتل — ايما شرف سيكون ذلك ! — لكنهم مصممون على ان يتنفسوا وان يكونوا ، وهم يأملون كذلك بان الثورة سوف تحدث . لكن التعابير تظل عامة جدا . انهم يشجعون الامل اكثر مما يرسمون مستقبلا .

« المغنون » الفلسطينيون يستعيدون أنفسهم اليوم ، حين يجهرون بكلامهم . « أطفالنا الآتون » هم أصحاب الغد . فالامل يتمثل بجيل المستقبل . « متنا وعشنا ، والطريق واحدة » . ان بيت « رمبو » يبدو هنا معكوسا ، وسبب ذلك هو دون شك ، ان محمود درويش ورفاقه ليسوا أفرادا معزولين ، ولكنهم ينطقون بلسان شعب مصلوب بأكمله . ان اعدام شعب بأكمله هو كلام نبوي نبوءة ببقية : هذا هو ايمان الشعراء الفلسطينيين في اسرائيل . ان هذا الايمان وهذه الاسطورة جديدان في العالم العربي . فلا الاسطورة الدينية في المدينة المسلمة ، ولا الاسطورة القومية العربية ، ولا اسطورة اليسار المعادي للامبريالية ، ترتكز في جوهرها على هذا الايمان **بالحياة من خلال الموت** . هذا هو ما تعنيه كلمة « فدائي » بحد ذاتها . انه الانسان الذي يدفع الموت كفدية ، من اجل التكفير ومن اجل الخلاص .

ونريد ان نؤكد على **الجديد** الذي حملته هذه الاسطورة ، وهذه الرسالة الشعرية التي تفوق بعمقها كل التعابير الاوتوبية والايديولوجية ، التي عرفها العالم العربي . انه جديد لمجرد الظروف التي يأتي في ظلها ، كما سبق وبيننا . وهو جديد كذلك لانه اختار بكل وضوح رفض الحنين الى الماضي ، كما رفض القدماء الذين يعيشون على الخرافات دون ان تتجسد هذه الاخيرة في حياتهم الحاضرة . ان انتصار الكلام الشعري عند درويش على الحنين والدموع والشيوخ ، هو انتصار لا ظلال عليه . فالاسطورة جديدة لان الذين يعلنونها هم شباب ولانها غير مشوبة بأية « عقيدة ايديولوجية » على حد تعبير رودنسون . ان الجديد في الاسطورة الفلسطينية المروجة في اسرائيل يتفجر كذلك عبر **تجلي الكلمة** .

لقد أنتهى ذلك الكلام العتيد ، الفارغ والسذي لا ينضب ، واصبح الشباب العرب يؤاخذون عليه اساتذتهم بشدة ، وبشكل خاص في الاوساط الفلسطينية . ان تلك الكلمة المشوهة التي فقدت قيمتها ، وريثة السجع الذي خلفه عصر الانحطاط الطويل ، والذي كانت البلاغة الدينية تحافظ عليه بفرور في المساجد الممتدة من بغداد حتى الدار البيضاء ، ان تلك الكلمة قد تحولت الى كلام صادق لشعب صغير ليس له غير الكلمات الصافية تعطي شكلا لوجوده وتجعله يدرك بأنه موجود . انه يقول : « انا موجود » ويترك جلده للسباط وجسمه للصلب ! لقد أصبح الكلام ثمينا لانه اصبح محفوفًا بالمخاطر وخاصة لانه لم يعد بالامكان الاستغناء عنه حتى لا يفقد الانسان هويته ، وحتى يتقنع نفسه بأنه هو ذاته . انه كلام الوجود . كلام جديد فوق الارض العربية في القرن العشرين .